المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب
(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)
(مصر في يوم الاربعاء ١٦ شوال سنة ١٣١٨ — ٦ فبراير (شباط) سنة ١٩٠١)

المحاورات بين المصلح والمقلد

« المحاورة الرابعة »

اسرار الحروف والزايرجة والجفر . اقرأ تفرح جرب تحزن . هل اسرار الحروف محصورة في المسلمين وحروفهم . دفع الله الناس بعضهم ببعض . اختلاف الخطوط العربية وفي ايها السر . مبتدع هذه الامور طائفة الباطنية . رسالة كشف الحقائق في اصول عقائد الدروز المبنية على اشكال الحروف واعدادها . غرائب وعجائب في ذلك . الباطنية والصوفية . تجربة منفعة الحروف . اسباب النفع . الولع بالغرائب . الوهم . تأثير النفس . فائدة التاريخ .

رجع الشيخ والشاب الى الحوار . ومبادلة الافكار . وأراد الشاب ان يتكلما في مسئلة مرض المسلمين الاجتماعي وعلاجه ويشرح للشيخ رأيه في الاجتهاد والتقليد وكون الاسلام طريقة واحدة لا ينبغي الاختلاف والتفرق فيه على ماتقدم له الالماع اليه . فلما علم الشيخ منه ذلك استأناه قائلاً

(المقلد) : فاتني ان اذكر لك في محاوراتنا السابقة اسرار الحروف

وفعلها فى شفاء المرضى وقضاء الحاجات وهى مبنية على التجربة الصحيحة الواقعية فلا يسعك انكارها لأنك تقول دائماً ان العلم الصحيح هو ما يشهد له الوجود وتؤيده التجربة الصحيحة . وكذلك الجفر والزايرجه اخبر العارفون بها بأمور فكانت كما قالوا ولقد سكت عنها من قبل لأنى لم أكن اعلم ان لها طرقاً علمية مضبوطة فخشيت ان تقول فيها ما قلت فى حساب الجمل وبعد المفارقة رجعت الى شيخين جليلين عالمين بالزايرجه واسرار الحروف والاوفاق وقد استفنيا من هذه المعرفة احدهما مغربى والآخر مصري وسألتهما عن ذلك فأخبراني ان لهذه العلوم اصولاً صحيحة مضبوطة لاستخراج المجهولات ومعرفة المغيبات لا كحساب الجمل الذى ليس له قاعدة مضبوطة الا المعروفة فى التأريخ به كما ذكرت

(المصلح) : ان كثيراً من الناس قد اغتروا بمثل هذا الكلام وصدقوا بأن ما يقال فى الافواه والكتب من ان هذه الاوفاق والحروف مجربة صحيح فجربوا بأنفسهم ما كتبه الدير بى وغيره فكانت نتيجة تكرار التجربة أن وضعوا لها هذه القاعدة التى سارت مثلاً وهى « اقرأ تفرح جرب تحزن » وانا اعتبر التجربة مؤيدة للعلم اذا كانت مطردة لا تتخلف الا لسبب معلوم ولو فى الجملة ولا بد ان يكون العلم بها متيسراً لكل احد واننا نراها هنا على قدم العهد بها محصورة فى نفر قليل من الدجالين الذين يحتالون على اكل اموال الناس بالباطل . ولو كان لها طريق علمي صحيح لارتقت بارتقاء العلم وتقدمت بتقدمه ولكننا نراها تتدلى كلما ارتقى العلم الصحيح وتتأخر حيث تتقدم المعارف الحقيقية حتى تلاشت من اكثر بلاد اوروبا واميركا الشمالية وهى من فروع علم السحر والطلسمات

(المقلد) : مهلا فان هذه العلوم والاسرار محصورة فى الحروف العربية ومخصوصة بالمسلمين ولذلك لا تصح الا على ايدى الصالحين فاذا لم توجد فى اوروبا وانكرها اهلها فلا يصح لمثلك انكارها . واما الذين جربوها فلم تصح معهم فسببه انهم لم يقوموا بشرطها وهو إما الرياضة المخصوصة التى يعرفها اهلها واما الاذن من شيخ اعطاه الله تعالى هذا السر وهذا الكلام ينطبق على شرطك فى وجوب اطراد التجربة وعدم تخلفها الا بسبب وهذا هو السبب . وهل يسعك انكار التواتر فى صحة هذه التجارب فى جميع البلاد الاسلامية ؟ لا أتذكر ان هذا الامر ذكر فى مجلس الا وسمعت الشهادات من الكثيرين بوقوع شىء منه لهم اما شفاء مرض واما قضاء حاجة واما دفع عاهة « ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لفسدت الارض »

(المصلح) : أرى انه لم يبق لكم من الاجتهاد الا وضع آيات القرآن فى غير مواضعها فان قوله تعالى « ولولا دفع الله » الآية نزلت فى سياق حرب داود عليه السلام لجالوت وانتصاره عليه كما نزل قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدِّمَتْ صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » فى الاذن للمسلمين بالجهاد والمدافعة عن انفسهم لمن يحاربونهم لانهم مسلمون . ولا يجيء هنا اعتبار عموم اللفظ دون خصوص السبب لان مسئلة اسرار الحروف ليست مما نحن بصدده فى شىء . واذا كان لها وجه اليه صحيح فهو دفع مثلى لهذه الاعتقادات الخرافية التي تفسد عقول الامة واخلاقها واعمالها . ولنعد الى الموضوع

اما قولك ان هذه الاسرار مخصوصة بالحروف العربية فهو يقتضى ان السر محصور فى هذه الاشكال المعروفة للحروف وهى مختلفة الآن فخطوط اهل

المشرق من عرب وترك وفرس مغايرة لخطوط اهل المغرب ولا يشبه شيء من خطوط اهل هذه القرون خطوط القرون الاولى زمن الصحابة والتابعين كالخط الكوفي باشكاله . ومن يعلم مثار هذه البدع في الملة لا يعجب من دعوى ان لأشكال الحروف اسراراً ولو كنت مطلعاً على التاريخ لكفيتني مؤنة التطويل بهذه البديهيات عند العارفين

هذه البدعة من فتن طائفة الباطنية التي هي اشد الطوائف عبثاً في الاسلام وافساداً له حتى ان بلاءها لا يزال ينمو ويتجدد الى الآن وآخر فرقهم البابية والبهائية . وقد راجت بدعتهم هذه كاكثر بدعهم في سوق التصوف لتشابه بل والاشتباه بين غلاة المتصوفة وبين الباطنية وهذا هو منتزع قولك ان هذه الاسرار لا تظهر الا على ايدي الصالحين او من اذنوا له بها . اصاب المسلمين رشاش من تلك البدع فأفسد فيهم ما افسد واما الباطنية انفسهم فليست الحروف واشكالها واعدادها وتناسبها وتخالفها وطبائعها معدودة من اسرار الدين الكمالية . كما يزعم جهلة المسلمين بمذهب الصوفية . بل هي من اصول الدين وقواعده الاساسية . وقد مزجوا الكلام عليها بعلم الحساب والنجوم كما فعل حسن الصباح رئيس الاسماعيلية وغيره

انا لم اكتف بما رايت في كتب التاريخ العربية من اخبار طوائف الباطنية بل وقفت ايضاً على كثير مما اكتشفه مؤرخو اوروبا وزدت على هذا ان وقفت على بعض الكتب الخطية لطائفة الدروز والنصيرية . وهذه الكتب من بنات الحقاق ومخبآت الصناديق لا يجوز عندهم طبعها ولا اطلاع احد غير رؤساء الدين عليها

(المقلد) : ارجو ان تطلعني على شيء من هذه الكتب السرية

(المصلح) : لا اسمح باعارة هذه الكتب لاحد ولكنني أقرأ لك منها جملة او جملتين لتزداد يقيناً . ثم فتح درجاً من منضدته واخرج منه رسالة وقال : هذه الرساله الموسومة بكشف الحقائق . وهي في اصول مذهب الدروز وقلب منها اوراقاً وقرأ ما يأتي : « وقد ذكرنا لكم في السيرة المستقيمة بأن آدم الصفاء هو العقل وكان اسمه شَطْنِيل واسم ابليس حارث وانما ذكرناهما في وقت ظهور الصورة البشرية وهو تمام سبعين دوراً . وكذلك قلنا حارث اربعة احرف (ح) ثمانية (ا) واحد (رث) ستمائة ساقط يبقى من جملة الاسم تسعة . والتسعة اذا كتبتها كانت اربعة احرف ت س ع ه والاسمين حارث وابليس اذا حسبتهما يبقى منهما اربعة احرف لان بقية اسم حارث تسعة وبقية اسم ابليس سبعة تسقط اثنا عشر يبقى اربعة احرف سوى . فقد حسبنا اسمه بالطول والعرض ومزدوجاً وفرداً فوجدناه اربعة احرف ووجدنا التاء التي في آخر الاسم حارث اول حروف التسعة دليل على ناموس الناطق وزخرفه في كل عصر وزمان وان اول النطقاء هو آخرهم وانما يتصور في الاقمصة بالتكرار كما ان الولي قائم في كل عصر وزمان . فبهذا السبب اهل الشرائع يرون محبة الاعداء كافة ولا يرون محبة رجل موحد ولا يكون في الحجة اوضح من هذا ولا ابين منه

« ثم رجعنا الى العقل فوجدناه ثلاثة احرف والنفس ثلاثة احرف لكنهما يفترقان في حساب الجمل الكبير . وكذلك جهال الشيعة ينظرون الى العقل والنفس بعين الدعوة لا غير وهما يتفاضلان في المنزلة لان العقل هو الذكر والنفس بمنزلة الانثى والذكر هو المفيد والانثى هو المستفيد والعقل اذا حسبناه في حساب الجمل الكبير وجدناه مائتين والنفس مائة وثلاثين

فوجدنا اسم العقل زائد عن اسم النفس سبعين درجة وهم حدود الامامة والتوحيد

وانا اعدهم لكم بمشيئة مولانا سبحانه حتى لا تشركون به احد من خلقه . فأولهم (النفس) واثنى عشر حجة له فى الجزائر وسبعة دعاة للاقاليم السبعة كما قال « عليها تسعة عشر » . و (الكلمة) واثنى عشر حجة وسبعة دعاة للاقاليم السبعة لان للكلمة نظير النفس . و (السابق) واثنى عشر حجة لا غير . و (التالى) واثنى عشر حجة لا غير لان له مثل ما للسابق . و (الداعى) المطلق وله مأذون ومكاسران فصاروا الجميع سبعين حداً منهم تفرعت جميع الحدود العلوية والسفلية وهم كلهم من قبل العقل وهو الامام المؤيد من قبل مولانا سبحانه وتعالى يسقط منهم من يريد ويرفع درجة من يريد بتأييد مولانا العلى الاعلى سبحانه وارادته كما قال فى القرآن « انما امره اذا اراد شيئاً » الى — ترجمون —

« فهؤلاء الحدود السبعون الذين ذكرناهم هم اذرع السلسلة الذى قال فى القرآن « خذوه فغلّوه » اى ضد الامام اذا بلغ غايته وتمت نظرته خذوه بالحجج العقلية وغلوه بالعهد وهو الذبح الذى قالوا بان القائم يذبح ابليس الا بالسنة « ثم الجحيم صلّوه » اى غوامض علوم قائم الزمان الذى تتجحّم العلماء والفقهاء عند علمه اى يصمتوا ويتحيروا « ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » اى ميثاق قائم الزمان الذى هو سلسلة بعضها فى بعض وهم سبعون رجلاً فى دعوة التوحيد « انه كان لا يؤمن بالله العظيم » اى الضد الروحانى ما كان يقر بامامة شطنيل وفضيلته » الخ

(المقلد) : قد ضاق صدرى من هذا الكفر الذى لا اساس له الا

هذه الشبه الحسابية وانى ارى لفظه فاسداً كمعناه ولا ادري لِمَ لم تصلح عبارته . ثم ان ما قرأته ليس فيه شيء يدل على اعتبار اشكال الحروف وصورها

(المصلح) : انني كتبت هذه الرسالة كما وقعت الى من بعض الجنود العثمانية الذين حاربوا دروز حوران فى الفتنة الاخيرة ولم اصلح شيئاً فى عبارتها ولا فى املائها لانى سمعت ان هذا الغلط عندهم علامة على الصحة وعدم وقوع الكتاب فى يد اجنبي . واما اعتبارهم اشكال الحروف مع اعدادها فاسمع ما اقرأه عليك فيه . ثم قلب اوراقاً وقرأ ما نصه

« والالف والباء والتاء والثاء يتشابهون بعضهم ببعض (كذا) غير ان الالف يكتب بالطول والباء والتاء والثاء تكتب بالعرض فالالف دليل على العقل وهو الامام والالف قائم بلا نقطة فوقه ولا علامة تحته والباء دليل على النفس وهى الحجة وتحته نقطة واحدة لان بينه وبين العقل حداً واحداً وهو الضد الروحاني فصارت نقطة الباء من تحت حيث عصى الضد امر باريه . ونافق على امامه وهاديه . ولو كان الضد طائعاً لكانت نقطة الباء من فوق فلما سبق الضد صار حزبه اكثر من حزب النفس . والتاء دليل على الكلمة وفوقها نقطتان دليل على الحدين اللذين فوقه . والثاء دليل على الجناح الايمن وهو السابق رابع الحدود الذين فوقه فى المرتبة وكُتْبتهم (هكذا ضبط فى الاصل) بالعرض دليل على طاعتهم للامام الذى هو العقل وقبولهم منه » وذكر فى الرسالة ههنا كلاماً ثم قال :

« ثم نرجع الى الحروف ومعانيها على الترتيب فالجيم والحاء والخاء فى الصورة شيء واحد لكن بينهم فرق كثير فى الحقيقة لان الجيم دليل على

شريعة الناطق الظاهرة والنقطة التي تحتها دليل على شريعة الاساس التي هي تحت الظاهرة مستورة فيه » — الى ان قال — « والحاء في حساب الجمل ثمانية وكذلك قائم الزمان احتوى على علم الثمانية الذين هم حملة العرش كما يقال « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » وهو توحيد مولانا العلي الاعلى سبحانه وعبادته . وكذلك الميم والواو والراء والزاي والنون شيء واحد وهذه صورتهم عند نزولهم مـ و رزـ ن لكن الميم شكلته من خلفه مدورة والواو شكلته قدامه وهذه صورتهما والنون يبقى على حاله لكن فوقه نقطة والميم دليل على محمد والواو دليل على وصيه وشكلتيهما دليل شريعتيهما وشكلة الميم من خلفه مدورة كذلك شريعة الناطق ظاهرة وشكلة الواو قدامه كذلك شريعة الاساس باطنة ولولا الشكلتان اللذان على الميم والواو لما كانا يعرفان . وكذلك محمد وعلي لولا ظاهر الشريعة وباطن التأويل لما كان يقع عليهما اسم الناطق والاساس » الخ الخ

(المقلد) : لقد بغضت الي هذه الحروف بهذا الكلام المذيان ولولا ما ذكرت لك من التجارب الصحيحة على انتفاع الناس بفوائدها لوافقتك على القول بعدم تلك الفائدة والحمد لله الذي جعلنا من اهل السنة والجماعة الذين لا افراط عندهم ولا تفريط

(المصلح) : ان اهل الحق الذين سلموا من الغلو في الدين ومن الافراط والتفريط هم السلف الصالحون الذين كانوا على هدي الراشدين رضي الله عنهم . فان الذين يسمون انفسهم اهل السنة في هذه القرون المتأخرة لم يسلموا من بدع الباطنية وغيرهم ولكنهم سموها باسماء اخرى ولو قابلت بين كلام الباطنية وكلام الصوفية من اهل القرن الرابع فمن بعدهم

لم تجد الا فرقاً يسيراً . على ان فقهاء هذا العصر يتعصبون لهذه الحروف ويطعنون فى دين من يقول بلزوم تبديلها لما فيها من المعايب التى يعسر معها التعليم ويكثر التحريف . واما ما ذكرت من التجارب فغير منضبط ولا متحقق بحيث يعلم ان يكون من التأثير فى بعض التجارب هو من الحروف . واني انا جربت بنفسي شيئاً من ذلك فأفاد وعاشرت من اشتهروا بأن تعاويذهم وتمائمهم لا يتخلف تأثيرها وصدقوني الخبر فيما يكتبون . كان من هؤلاء شيخ من الاشراف يقصده المسلمون والنصارى من بلاد كثيرة ليكتب لهم ما يستشفون به الامراض او يستعطفون قلوب من يعشقون الى غير ذلك من الاغراض . وقد اخبرني انه يكتب للمسلمين آيات من القرآن ولغيرهم هذه العبارة « رز باللبن . عافية على البدن . رز بحليب . كلما برد يطيب » وكانوا ينتفعون بذلك والسبب فى غالبه الوهم الذي يحدثه الاعتقاد على ان اكثر ذلك لا ينفع ولا يفيد ولكن الناس ينسونه ويحفظون ما تحدث عقيبه الفائدة المطلوبة وان كان حدوثها لسبب آخر خفي عنهم بل يعمون عن السبب وان كان ظاهراً لانهم مع اتخاذ هذه الوسائل الغريبة الغيبية يأخذون بالاسباب الظاهرة الطبيعية وانما ولعهم بالغرائب هو الذي يذهلهم عن السبب الظاهر ويحملهم على اضافة الاثر للوسيلة الغريبة غير الطبيعية

ومن الناس من أعطي استعداداً للتأثير بنفسه اذا هو وجهها الى الشيء بهمة قوية وعزيمة صادقة وقد وجد فى كل امة افراد من هؤلاء فكانوا فتنة للناس والبحث فى هذا التأثير من ادق مسائل علم النفس ومن علماء الفلسفة من ينكره ولا سمة معنا فى الوقت للخوض فيه

(المقلد) : لقد سمعت اليوم ما لم اسمع بمثله من قبل وظهر لى ان من يطلع على التاريخ يمكنه ان يورد شبهاً على علوم الدين لا يمكن دفعها لغير المطلع عليه اطلاعاً واسعاً ولا أرى المشايخ الذين يقولون بكراهة قراءته ويزعمون ان الاطلاع عليه يضعف العقل الا فى ضلال مبين . ولكننى أرى انه يشترط ان يكون المطلع عليه كالمطلع على الفلسفة والمنطق كامل القريحة راسخاً فى العقيدة أو كما قال الاخضرى

ممارس السنة والكتاب ليهتدى به الى الصواب

(المصلح) متبسماً مستبشراً : احمد الله تعالى على اقتناعك بفائدة علم التاريخ فانه مغذي العقل ومربى الامم وينبوع علم الاجتماع الذى هو افضل العلوم الكونية وانفعها واذا اردت مطالعة كتبه فابدأ بمقدمة ابن خلدون وها انا ذا اقدمها لك هدية فاقرأها بامعان فانها مفخر الامة الاسلامية على الامم الغربية فانها استاذهم الاول فى فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع البشري (السسيولوجيا) واصول السياسة وعلم التربية والتعليم (البيداجوجيا) وهى مترجمة الى جميع لغاتهم ولكنهم توسعوا فى العلوم التى استفادوها منها حتى نقضوا كثيراً مما ابرمت . وهدموا بعض القواعد التى نَتَتْ .

فتقبل الشيخ الهدية شاكراً وانصرفا على ان يعودا الى البحث فى الجفر والزايرجة قبل الخوض فى بحث الاجتهاد والتقليد وعلاقة ذلك باعادة مجد الاسلام